الطلاب الحفاة

قرأت في إحدى صحفنا المحلية أن وكيلاً لإحدى المدارس المتوسطة في بلادنا لم يجد حلا لضبط سلوكيات طلابه ، التي رأى أنها غير مناسبة إلا أن يجمع أحذية عدد من الطلاب أثناء طابور الصباح ويلقي بها في حاويات النفايات ليبقوا حفاة في مشهد تشمئز منه النفوس وتأباه وسائل التعليم الحديثة ويدمجه الذوق الرفيع ؛ معتبرا عمله هذا من وسائل العقاب المبتكرة .

فأكملوا يومهم الدراسي في وضع نفسي سيء لما يشعرون به من الحرج من مدرسيهم وزملائهم في المدرسة ؛ ومن المارة وهم في طريقهم إلى منازلهم نهاية يومهم الدراسي ؛ فضلا عن سخرية زملائهم وتندرهم من هذه الحالة العجيبة التي لا تمت إلى وسائل التربية والتعليم بصلة.

وهذا الأسلوب في التعامل مع الطلاب مرفوض دينياً وأخلاقيا وتربويا ، ولا يسلكه إلا الجهلاء الذين عجزوا عن معالجة الوضع بطريقة تربوية صحيحة وبأسلوب راقٍ يضمن للطالب كرامته وإنسانيته وتقويم سلوكه بطريقة مهذبة تنسجم مع مبادئ التربية الحديثة ؛ ويضمن أن الطالب تقبّل الوضع وتأثر به والتزم بتعديل سلوكه بأسلوب تربوي فيه احترام لشخصيته فذلك الأجدى والأفضل ؛ بعيدا عن أساليب التعذيب النفسي والإيذاء السلوكي والتصرفات المرفوضة التي لا تصدر إلا عن الجهلاء .

ومثل هذه الأساليب التربوية الخاطئة عند ثبوت صحتها ، يجب أن تُعاقِب إدارة التعليم بأشد العقاب الرادع كلَّ مَنْ يستخدمها مع طلابه ممن يسمون أنفسهم مربين حتى لا تتكرر مثل هذه المآسي .

وفي حالة هذا الوكيل يفترض أن يُعفى من موقعه لأنه والحالة هذه غير جدير بمقابلة الطلاب ومتابعة سلوكياتهم لأنه بتصرفه هذا أثبت للجميع فشله وأعلن إفلاسه التربوي وأضر بسمعة التعليم بشكل عام .

أما قائد المدرسة فلا يُعفى من المسؤولية لأنه ليس من المعقول أن يسكت على مثل هذا التصرف المشين ، ولو افترضنا أنه لا يعلم عن هذه الواقعة فهذه غفلة لابد من محاسبته عليها .

ونحن في القرن الواحد والعشرين وما وصلت إليه أساليب التربية والتعليم الحديثة من تقدُّم ورُقي لا يسعنا إلا أن نقول : ما هكذا يكون التعليم وما هكذا تكون التربية.

وما هكذا تُورد الإبل كما يقول المثل العربي المشهور .